المُقدِّمة

الحُبُّ وَتِينُ القلبِ، حاضرٌ بينَ تلافيفِ الحقولِ وشجرةِ زيتون، يَسْرَحُ في السَّهلِ كما على صفحاتِ مياه النَّهر، حجارةُ القلعةِ تنطقُ به، الدِّماء التي تناثرتْ لواءُ جنونه، هو ينبوعٌ من الأحاسيس والحكايا التي لا تنتهي، غَرَفْتُ استطاعتي منه ورسمتُ حروفاً وكلمات..

غَنَّيتُ للوطن "يُحْمُر" مجموعة مشاهد تعادل ما خلقه فيَّ صوت أبي وأمِّي، وهما يتعاركان ويتحابَّان مواويل وزجليَّات أيام الحصاد، بُحتُ بعشقي لأزقَّةِ يُحْمُر أنشودةً تُداعبُ أطفالَ عاملة، رسمتُ من بيوتها ملامح هذا الجنوب الذي أريك العقول والأفئدة، ويُحْمُر الشقيف نموذج يتكرَّر..

شهداء بلدتي باقةٌ من مصابيح الوطن، دمهم صار بوصلةً لكلِّ العاشقين، لم يجرؤ أحدٌ على هذا الزمنِ سواهم، الهزيمةُ سيِّدةٌ والخيانةُ أوسع انتشاراً، كحَّلوا العيونَ وشمختْ بهم الهامات، أضاءوا سماءنا ورفرفتْ على تلالنا الرايات..

أذرفُ الوَجْدَ على ربى الشقيفِ كي ألامسَ شجونَ "المَقدسيين"، فالوطنُ وردة، والحُبُّ طلقة، وفلسطين وطننا الكبير، فلسطين عالمنا الرَّحب، غَزَلْتُ من قريتي مشهداً

يتجلّى أكثر في قُراها، أصبتُ حيناً وقصّرتُ كثيراً. لكنَّ الصّدقَ عنوانُ المحاولة، تلك هي القضية.

لا بدَّ من توضيح بعض الأمور عبر هذه المقدّمة، خصوصاً لَمَنْ تشرَّف بولادته في زاويةٍ بعيدةٍ من زوايا الوطن العربي الكبير، لتكون هذه الإيضاحات قارباً له يُبحر فيه كيفما يشاء :

- الأحداث التي سجّلَتها هذه الصفحات، هي جزء واقعيّ من سيرة قرية " يُحْمُر الشقيف" وتاريخها.
- الأسماء التي ترِد هي أسماءٌ لأشخاصٍ حقيقيين، منهم من قضى ومنهم من ينتظر، كما أن ملامحهم الواردة والأحداث المتعلّقة بهم تنطبق عليهم، على الأقل من حدود الرؤية التي أطلّ منها، كما تضمَّن النَّصُّ أسماء بعض الأماكن المحلّية في البلدة، لم أشِر إليها بتوضيحٍ أو هامش، بل تركت الأمر لفطنة القارئ.
- الصحفية "ليلى"، لسان حالي ومداد قلمي، وهبني إيّاها الخيال لتربط قصصاً واقعية وأشخاصاً واقعيين، بأسلوبٍ صحفيٍّ خاص، هو جزء من هذه الحكاية، التي تتضمَّن مزيجاً من الجغرافيا والتاريخ والصمود والمعاناة والأحاسيس، والنصر أيضاً...
- "حكايات" كلمةٌ يكثر تواترها، فالحياة بالنسبة إليّ حكاية تضمّ مجموعة قصص يتواصل بعضها ببعض..

- حاولتُ قدرتي طرد مسحات الحزن المعشعش عن حروفي، لكنَّه تاريخٌ طويل، نحتتْ عليه القرون أبجديتها، وغسلت الدُّموع والدماء والعذابات صفحاته، ويبقى الأملُ دائم الحضور..
- وضعتُ الطبيعة صُوَراً بين السطور، لتنطق بعشق القلوب التي تتفجَّر للحياة، شهداؤنا ربيع، ونجوم، وأقمار، وشتَّان ما بين اليأس والشهادة..
- الأسماء التي وردت هي عناوين تختصر كل الأهل الأوفياء في يُحْمُر، فالحبكة القصصية هي التي فرضت التسمية، ومَنْ لم يرِد اسمه بين الكلمات، ففي القلب صورته(١)...
- إلى "شيوخ الطريقة" فقهاء اللغة وفنونها، الذين أنعموا علينا متعة الترحال خلفهم، أطلب الصَّفح منهم في لحظات الوهن، أنا الفاعل المتعدّي، والطبيب الجرَّاح المتيَّم بوقع الكلمات، جرَّأت على نَسْجِ حكايةٍ يعرفها أترابي أكثر، لم أنسحب إلى جزيرة للكتابة، ولا صومعة سجنت فيها روحي، واجب المهنة التي أحبّ يسلبني زمني الذي أهواه ليلاً أن يكون، وتفاصيل حياة نكاد نتفرّد بها بين شعوب الأرض..

(١) إن عائلة «عليق» هي العائلة الأكبر في قرية يحمر، وتضم مجموعة جذور كبيرة ومتشعبة في القرية وخارجها، لذلك ألفت نظر القارىء بأن الأسماء التي ترد من «آل عليق» تحديداً، لا توجد علاقة قرابة بين أصحابها في أغلب الحالات.

- للحصان كبوَة، فكيف لطبيبٍ يداوي الألم في وطنٍ مثخنٍ بالجراح، وملاك الكتابة فاجأه في الليالي الرمضانية، ليكتُب قصة عن بلدته خلال شهرين من الزمن...؟

بسام علّيق